قسم العلوم السياسية

الثقافة السياسية للشباب

د. نورهان الشيخ(*)

ورقة مقدمة إلى مشروع الدولة المصرية
قسم العلوم السياسية

٢٠١٢

---

* أستاذ العلوم السياسية، ومدير وحدة دراسات الشباب، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

مقدمـة

على الرغم من أن الدولة من خلال أجهزتها المعنية تقدم خدماتها للشباب باعتبارهم السكان فى الفئة العمرية من ١٨-٣٥ سنة، وهى فى ذلك تميز بين مرحلتى الشباب والطلائع (١٢ حتى أقل من ١٨ سنة)، إلا أن السياسة القومية للسكان فى مصر (١٩٩٢ – ١٩٩٧)، واستراتيجية الشباب المنبثقة عنها، وكذلك المركز الديموجرافى بالقاهرة فى ورقته حول الشباب فى مصر، قد عرفوا الشباب على أنهم السكان فى الفئة العمرية من ١٥ – ٢٩ سنة.

ووفقاً لتقرير صندوق الأمم المتحدة للسكان عام ٢٠١١، فإن تعداد سكان مصر بلغ ٨٣ مليون نسمة، وأن عدد الشباب في مصر الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٤ عاما بلغ ١٦ مليون نسمة، بنسبة تصل إلى ٦ر١٩ % من إجمالي سكان مصر. ولاشك إن إضافة الشريحة الأعلى (٢٤-٣٥)، ترفع هذه النسبة إلى ما يزيد عن ثلث السكان.

والشباب بحكم هذا التعريف هى فئة غير متجانسة تتفاوت وتختلف بالنظر إلى العديد من الأبعاد:

- من حيث السن، هناك من هم فى سن المراهقة فى حين تجاوز البعض الأخر هذه المرحلة وأصبحو أكثر نضجاً.
- من حيث المستوى الاقتصادى، يتفاوت الشباب بوضوح فى مستوياتهم الاقتصادية كإنعكاس للتفاوتات القائمة فى المجتمع.
- جغرافياً، ٤٣,٦% من الشباب يعيشون فى الحضر مقابل ٥٦,٤% يعيشون فى الريف.
- من حيث مستوى التعليم، يعانى ٣٠% من الشباب من الأمية، ويجيد القراءة والكتابة فقط ١٠,٦% منهم، وحصل على التعليم الابتدائى ٢٢,١%، والمتوسط وفوق المتوسط ٣٢,٧%، فى حين لم يتم تعليمه الجامعى وما بعده سوى ٤,٦%.
- من حيث العمل، ٢٠,٢% من إجمالى الشباب أى ما يعادل ٨,٩% من إجمالى السكان، وخمس قوة العمل فى مصر يعانون من البطالة.
- من حيث المهنة، فإن النسبة الغالبة من الشباب (٥٤,٧%) من العمال والفلاحين، فى حين يمثل أصحاب المهن الفنية والعلمية ٢٣,٣%.
- من حيث الحالة الزواجية فإن ٦١,٧% من الشباب فى سن الزواج لم يتزوج أبداً، مقابل ٣٧,٦% متزوجين، و٢,% أرمل، و٥,% مطلق. [٢]

فى إطار كل هذه التباينات والاختلافات بين الشباب يصعب القول بوجود ثقافة سياسية واحدة لكل الشباب المصرى، وأنما توجهات عامة لهذه الثقافة، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه التوجهات قد تشهد اختلافات فى الدرجة من فئة شبابية إلى أخرى.

ويعرف جبريل ألموند للثقافة السياسية بأنها "الاتجاهات والتوجهات نحو السياسة بين أفراد المجتمع أو النظام السياسى الواحد، ويمكن قياسها من خلال دراسات ومسوح الرأى العام وقياس الاتجاهات".[٣] وسوف تعتمد الورقة على تعريف ألموند فى دراسة وتحليل الثقافة السياسية للشباب، وذلك فى إطار المحاور الأساسية التالية:

- اهتمام الشباب بالسياسة
- المعرفة السياسية
- الاتجاهات والقيم السياسية
- المشاركة السياسية
- الشباب والعنف السياسى
- الهوية والاغتراب
- الشباب والثقافة الفرعية الرافضة (التمرد والتطرف)

وتوضح الدراسات الميدانية التى أجريت بالفعل على عينات مختلفة من الشباب من قبل باحثين ومراكز بحثية وهيئات متعددة اختلاف واضح فى الأبعاد السابقة للثقافة السياسية للشباب، قبل ثورة ٢٥ يناير وبعدها. وسوف تتناول الدراسة محددات هذه الثقافة والعوامل المختلفة المؤثرة عليها، التوجهات العامة للثقافة السياسية للشباب قبل الثورة، والتغير الذى حدث لها فى ضوء الثورة المصرية التى هى ثورة شبابية حيث كان الشباب هم مفجرى الثورة والقوة الدافعة والقائدة لها.

أولاً: محددات الثقافة السياسية للشباب:

هناك العديد من المؤسسات والعوامل التى تلعب دوراً محورياً فى تشكيل الثقافة السياسية للشباب لعل أهمها مؤسسات التنشئة السياسية، والتحديات الداخلية والخارجية التى تواجه الشباب وتؤثر على نحو فاعل وملحوظ فى توجهاتهم ليس فقط السياسية تجاه السلطة بل والمجتمعية العامة. وفيما يلى تفصيلاً لهذه العوامل ولدور مؤسسات التنشئة المختلفة فيما يتعلق بنقل القيم والمعارف السياسية للشباب.

١. مؤسسات التنشئة السياسية:

التنشئة السياسية بحكم التعريف عملية مستمرة لتلقين القيم السياسية وإكساب الاتجاهات الاجتماعية تجاه السلطة والنظام السياسى منذ الطفولة بهدف تأهيل الشباب كى يلعبوا أدواراً سياسية متعددة فى الحياة. فالتنشئة السياسية تهدف إلى تكوين الثقافة السياسية وتغييرها ونقلها داخل المجتمع من جيل إلى جيل. وذلك من خلال مؤسسات التنشئة، وأهمها:

أ. الأسرة:

الأسرة هى الاطار الاجتماعى الأول الذى يعيش فيه الفرد وأول نمط للسلطة يعايشه الطفل، ومن ثم فإن خبراته فى التعامل مع أفراد أسرته والأسلوب الذى تنتهجه الأسرة فى التربية يؤثر تأثيراً كبيراً على قيمه واتجاهاته فى فترة الشباب وما بعدها. فإذا كان الأب سلطوياً فى علاقته بأفراد الأسرة كان من المحتمل أن تتأكد لدى الأبناء قيم الإكراه والسلبية والفردية. وفى المقابل إذا تميز الأب بالديمقراطية فإنه من الأرجح أن يكتسب الأبناء قيم الحرية والعمل الجماعى والمبادرة.

ب. المؤسسة التعليمية:

للتعليم دور محورى فى غرس القيم والمعتقدات والمعارف والأفكار لدى الشباب، وذلك من خلال أربع آليات أساسية، وهى: المقررات الدراسية خاصة التاريخ والتربية القومية؛ والمعلم بما لديه من علم وما يؤمن به من قيم وما يتبعه من أساليب فى التدريس وفى التعامل مع التلاميذ؛ والطقوس المدرسية التى تساعد على بث حب الوطن والانتماء إليه وتكريس الطابع الجمعى لهذه القيم مثل تحية العلم وترديد النشيد الوطنى والاحتفال بالاعياد القومية وتعليق صور أو وضع تماثيل للرموز الوطنية.. ؛ والأنشطة الطلابية التى تفجر الطاقات الابداعية

وتنمى مهارات المشاركة وتغذى قيم الانتماء والجماعية والثقة بالنفس. وغياب مثل هذه الأنشطة قد يكون مصدراً للاحباط والخمول والسلبية.(٤)

وقد أشار الشباب فى ندوة نظمها المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية بمركز شباب ميت عقبة، وشارك فيها ما يزيد عن ١٣٠ شاباً وفتاة من مختلف المراحل التعليمية، عدداً من السلبيات التى تكتنف العملية التعليمية وتؤثر سلباً على التنشئة السياسية للشباب، أهمها:

- أعتماد أسلوب التعليم على التلقين بدلاً من تدريب الشباب على البحث والتفكير الذى يؤدى إلى الخلق والابتكار. وتدهور التجهيزات اللازمة فى المعامل مما لا يتيح الفرصة للطلاب للتطبيقات العملية.
- إحتواء المناهج التعليمية على كثير من الحشو والتكرار مما يرهق الطلبة دون أن يشجعهم على التفكير فيما يحفظونه.
- غياب المضمون السياسى عن المناهج الدراسية الذى يسمح بإيجاد أو تشجيع الفرد المهتم بالشأن العام والسياسى.
- ضعف القدرة على أداء الدور التربوى المنوط بالمؤسسة التعليمية فى ظل ارتفاع كثافة الفصول والتوسع فى الأبنية على حساب مرافق الأنشطة المدرسية ذات الدور الفاعل فى التنشئة السليمة للتلاميذ.
- انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية حتى على مستوى التعليم الجامعى مما أدى إلى تدهور واضح فى مستوى الطلاب وقدراتهم البحثية والفكرية.
- عدم ربط المناهج التعليمية باحتياجات سوق العمل مما أدى إلى تفاقم مشكلة البطالة والاحباط النفسى لدى الشباب الذى يعتبر نفسه يستحق فرصة عمل كريمة.
- غياب لغة الحوار بين الأستاذ والطالب فى مختلف المراحل التعليمية، وعدم وجود مساحة للنقاش وإبداء الرأى.
- إفتقاد الأستاذ إلى التأهيل التربوى بما فى ذلك الأستاذ الجامعى، رغم أنهم من المفترض أن يكونوا قدوة تبث السلوك القويم فى نفوس النشء والشباب. بل أن بعض الأساتذه فى المدارس يسيئون السلوك ويستخدمون ألفاظاً لا يصح أستخدامها لاسيما فى مدرسة.(٥)

ت. وسائل الاعلام والاتصال:

تتيح وسائل الاعلام تفاعلاً مع الآخرين دون التواجد معهم فى نفس المكان، ويمكنها الوصول إلى كل شاب بسهولة ويسر. ولقد تزايدت أهمية وسائل الاعلام ودورها فى عملية التنشئة فى عصر العولمة والسماوات المفتوحة وعشرات القنوات الأرضية والفضائية. وفى

هذا الاطار يبرز التليفزيون كأحد أهم وسائل الاعلام التى يلجأ إليها الشباب ليس فقط لتلبية احتياجاته المعرفية وإنما بهدف التسلية والترفيه وشغل أوقات الفراغ. فقد أوضحت دراسة ميدانية أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ارتفاع نسبة التعرض للتليفزيون (٩٤,٢%)، وارتفاع كثافة المشاهدة اليومية للتليفزيون حيث بلغ المتوسط اليومى لها ٢,٩ ساعة يومياً. كما أوضحت أن ٥١,٩% من شباب العينة يعتبرون التليفزيون المصدر الرئيسى للحصول على المعلومات، يليه الصحافة بنسبة ٤٣,٨%، ثم مصادر الاتصال الشخصى، فى حين تراجعت الكتب (٧,٥%) والمحاضرات والندوات (٣,٦%) بين مصادر المعلومات التى يعتمد عليه الشباب. ويمكن تفسير ذلك فى ضوء ارتفاع نسبة الأمية بين الشباب، وانخفاض المستوى الاقتصادى لقطاع عريض من الشباب مما يحد من قدرته الشرائية بصفة عامة، ومنها تلك الخاصة بالكتب.(٦)

من ناحية أخرى، يزداد دور شبكة الانترنت أهمية فى أوساط الشباب المتعلم، فقد أوضحت أحدى الدراسات ميل الشباب إلى استخدام الانترنت بكثافة حيث يستخدمها يومياً ٤٠,٣%، وأكثر من مرتين فى الأسبوع ٢٦,٢% من العينة محل الدراسة. كما ذكر ٦٥,٨% منهم أن استخدامهم للانترنت يزيد بمرور الوقت، وعبر ٧٢,٥% عن أنهم يستخدمون الشبكة للحصول على المعلومات.(٧) كما يزداد عدد مستخدمى الشبكة للتواصل الاجتماعى من خلال الفيس بوك والتويتر وغيرها من مواقع التواصل بين الشباب على نحو ملحوظ.

ث. دور العبادة:

وتتمثل فى المسجد والكنيسة، وللخطاب الدينى لرجال الدين الاسلامى والمسيحى فى المؤسسات الدينية دوراً محورياً فى التنشئة السياسية خاصة فيما يتعلق بتنمية روح الانتماء والمواطنة وفى تعزيز قيم التسامح والإخاء نظراً لما تتمتع به من مكانة وقدسية.

ج. مراكز الشباب:

تعتبر مراكز الشباب هيئات شبابية ورياضية وتربوية فاعلة ومؤثرة فى المجتمع، بالنظر إلى كونها تتعامل مع الشباب من كافة الفئات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية خاصة الطبقات الفقيرة، كما أنها تصل إليهم فى أماكن تجمعاتهم وفى موطنهم الأصلى، وعلى نحو دائم حيث يوجد فى مصر إجمالى عدد ٤٤٠٩ مركز شباب فى جميع المحافظات تضم فى عضويتها إجمالى ٣٤٩٦٤٠٦ فرداً أغلبهم من الشباب.

ورغم أهمية مراكز الشباب إلا أن هناك مجموعة من العقبات التى تحد من قدرتها على تأهيل وإعداد الشباب، أهمها دور العصبيات واحتكار عضوية مجالس الادارات من جانب بعض العائلات. إلى جانب قصور الوعى التربوى والسياسى لدى العديد من القيادات الإدارية بمراكز الشباب خاصة وأن عدد كبير منهم من حملة المؤهلات المتوسطة.

حـ. الأحزاب السياسية:

خلال الخمسينات والستينات وحتى أواخر السبعينات ظل انتماء الشباب للعمل السياسى يتخذ صورة الحشد والتعبئة فى إطار الحزب السياسى الواحد. وكانت منظمة الشباب التابعة لأمانة الشباب فى الاتحاد الاشتراكى أهم وأقوى المؤسسات التى تتولى مسئولية التنشئة السياسية للشباب، وذلك فى تسلسل قيادى وشبكة تنظيمية ضمت كل فئات الشباب المصرى من طلاب وعمال وحرفيين وفلاحين. ولم تنجح الأحزاب التى ظهرت بعد الأخذ بالتعددية الحزبية عام ١٩٧٧، والتى وصل عددها إلى ٢٥ حزباً قبيل ثورة ٢٥ يناير، فى تطوير آليات جاذبة للشباب لاسيما خطابها السياسى، وعنصر الثقة والمصداقية، وحرية التعبير والحوار أو ما يسمى بالديمقراطية الداخلية. من ناحية أخرى، تقوم الأحزاب بتربية سياسية قوامها التشدد وعدم قبول الأخر ورفض آراء ممثلى أى حزب معارض والنقد اللازع لها، وهذا النوع من التربية لا يمكن أن يؤدى إلى شباب يتسم بالمواطنة المسئولة والوعى والايجابية والمشاركة الفاعلة فى قضايا الوطن.

هـ. الاتحادات الطلابية:

على الرغم من قوة الاتحادات الطلابية الأمر الذى بدا واضحا فى الحركتين الطلابيتين عام ١٩٦٨ احتجاجاً على نتائج محاكمات القيادات التى عدت مسئولة عن هزيمة ١٩٦٧، ومظاهرات ١٩٧٢ المطالبة بالحسم العسكرى ضد اسرائيل، ثم انتفاضة يناير ١٩٧٧ احتجاجاً على رفع أسعار الخبز، فإن صدور اللائحة المنظمة للاتحادات الطلابية لعام ١٩٧٩ أدت إلى تفريغ الاتحادات من محتواها السياسى وتحويلها إلى مجرد منتديات للأنشطة وتم تصفية العمل الطلابى السياسى فى الجامعات، كما تم إلغاء القيادة الطلابية العليا الممثلة فى الاتحاد العام لطلاب الجمهورية الذى كان يضم خمسة أفراد من اتحاد طلاب كل جامعة فى مصر يتم انتخابهم فى المؤتمر العام السنوى لاتحاد طلاب الجمهورية. مما كان له أكبر الأثر فى الحد من قدرة الاتحادات الطلابية فى مجال التنشئة السياسية. ورغم إدخال بعض التعديلات على

اللائحة الطلابية عام ٢٠٠٧، إلا إنها كانت شكلية، كما أن الممارسات الأمنية وتدخل الجهات الإدارية فى الجامعات استمر مما جعل هذه التعديلات غير ذات جدوى.

و. جماعة الرفاق:

جماعة الرفاق هى بناء اجتماعى غير رسمى يضم عددا من الأفراد يجمعهم تقارب السن أو محل الإقامة أو وحدة المكان الذى يرتادونه كالمدرسة أو النادى أو محل العمل مما يؤدى إلى التفاعل الشخصى المباشر بينهم. والفرد فى إطار جماعة الرفاق أكثر تقبلاً لاستيعاب القيم والاتجاهات والمفاهيم والأراء عامة وكذلك السياسية حيث أن أنماط السلطة فيها تتسم بالندية والديمقراطية. الأمر الذى يجعل منها مصدراً لإكساب معارف وقيم وتوجهات سياسية على نحو أكثر يسراً وتأثيراً.

٢. التحديات التى تواجه الشباب:

هناك مجموعة من التحديات والمشاكل التى تواجه الشباب وتؤثر على نحو واضح فى ثقافته السياسية خاصة ما يتعلق بمنظومة قيمه ونظرته للنظام السياسى، أهمها:

أ. تحدى العولمة:

العولمة هى حركة اقتصادية بالأساس ذات أبعاد ثقافية واجتماعية وتكنولوجية وسياسية. فالعولمة تشير أساساً إلى اتفاقية الجات وإلى تحرير التجارة وإزالة الحواجز الجمركية بين الدول، والاتجاه إلى تعظيم دور القطاع الخاص، وزيادة الترابطات بين اقتصاديات العالم. كذلك، تشير العولمة إلى الثورة الهائلة فى التكنولوجيا وإلى الآفاق الجديدة التى أرتادها العلم فى مجالات: الكيمياء الحيوية أو ما يسمى بالهندسة الوراثية، وبحوث الفضاء، والحاسبات الآلية، والواقع الجديد الذى أوجدته ثورة المعلومات والاتصالات والبث التليفزيوني المباشر والفضائيات، وتدفق المعلومات من خلال الشبكة الدولية "الإنترنت". كما تشير أيضاً إلى أنماط السلوك والملبس وغيرها من الجوانب الاجتماعية والثقافية.

ومن هنا تأتى التحديات التى تفرضها العولمة وهى ليست فقط تحديات اقتصادية تتعلق بمدى قدرة مصر على المنافسة والتصدير واقتحام الأسواق الأخرى بشبابها ومنتجاتها، وانما تحديات تتعلق بالحفاظ على الهوية الثقافية والقيم الدينية والتقاليد الاجتماعية أى الخصوصية الثقافية والحضارية خاصة لدى النشء والشباب. وقد دعم من هذه المخاوف الآثار السلبية للعولمة على العديد من دول العالم.

ولكن رغم هذا، تظل العولمة أمراً واقعاً وتحدى حقيقى يجب أن ننجح فى التعامل الإيجابي معه على النحو الذى تستفيد فيه مصر من الجوانب الإيجابية وتعظم مكاسبها منها، وتقلل من أثارها السلبية ومغارمها ليس فقط الاقتصادية ولكن، وهو الأهم، الثقافية والاجتماعية من خلال مقاومة التيارات الوافدة التى لاتتفق مع عاداتنا وتقاليدنا. ولابد من تأهيل الشباب للانفتاح على الثقافات الأخرى دون المساس بهويته وانتماءه الوطنى.

ب. ثورة التطلعات لدى الشباب:

أدت ثورة الاتصالات والمعلومات وانفتاح الشباب على العالم الخارجى إلى تغير واضح فى أولويات الشباب واحتياجاتهم وتطلعاتهم. فقد وصلت القنوات الفضائية والأنترنت إلى القرى والنجوع والمقاهى العامة، مما أدى إلى اطلاع الشباب على ثقافات أخرى بما يتضمنه ذلك من أنماط معيشة وحياة لم تكن معروفة لديهم من قبل. وقد أحدث ذلك ما يشبه ثورة من التطلعات لديهم، والتى تفوق فى الأعم الأغلب من الحالات قدراتهم المتاحة مما أدى إلى حالة من السأم والسخط وعدم الرضا لدى الشباب ومن ثم التفاعل السلبى مع المجتمع المحيط بهم والذين أصبحوا يرفضونه ولا يستطيعون فى نفس الوقت تغييره.

جـ. البطالـة

يشير المحللين واستطلاعات الرأى العام إلى أن البطالة هى أهم وأخطر التحديات التى تواجه الشباب فى مصر إنطلاقاً من أن العمل يعد متطلب ضرورى للاندماج الاجتماعى والسياسى للشباب فى المجتمع، كما أنه يمنحهم الثقة بالنفس والاستقلالية والاعتماد على الذات وغيرها من مقومات الشخصية السوية البناءة. هذا فى حين تؤدى البطالة إلى أنحراف الشباب وانخراطهم فى الادمان والتطرف وانتشار الجرائم والفساد.

د. الإدمان

من الصعوبة بمكان تحديد مدى انتشار ظاهرة المخدرات بين الشباب تحديداً دقيقاً حيث لاتوجد بيانات موثقة عن أعداد الشباب الذين يتعاطون المخدرات، إلا أنه يمكن توضيح خطورة هذه الظاهرة ومدى التهديد الذى تمثله للشباب من المؤشرات التالية :

- أن أكثر من نصف المتهمين (٥٥,٤%) المضبوطين فى قضايا المخدرات من الشباب فى الشريحة العمرية ١٨-٢٩ سنه. كما أن هناك نسبة من المتهمين الأحداث أقل من ١٨ سنه (١,٤%من جملة المتهمين).
- من ناحية أخرى فإن٢,٢% من المتهمين من الطلبة بمراحل التعليم المختلفة، كما أن٣٥,٤% من المتهمين عاطلون عن العمل وهم فى معظمهم من الشباب.

- تشير المسوح الميدانية التى أجريت عن ظاهرة تعاطى وإدمان المخدرات أن معدل إنتشار المخدرات بلغ ٥,٥% بين تلاميذ الثانوى العام بالقاهرة الكبرى عام ١٩٨٦، و ٩% بين طلاب الجامعات على مستوى الجمهورية عام ١٩٩٠ و ٥١% من شباب الحرفيين بمدينة القاهرة عام ٢٠٠٠. الأمر الذى يوضح مدى خطورة هذه الظاهرة وما تمثله من تحدى يتطلب تضافر جهود الدولة والأسرة والمجتمع ككل على حد سواء.[٨]

٣. العوامل الخارجية المؤثرة على الثقافة السياسية للشباب:

إذا كان الشباب قد تأثروا على نحو واضح بالتحولات الكبرى فى النظام التعليمى وفى مؤسسات التنشئة السياسية عامة، وهم الأكثر خوفاً من شبح البطالة والأكثر معاناة منها، فإنهم أيضاً الأكثر تأثراً بالتحولات الدولية والإقليمية لاسيما انهيار الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى بأكمله، وغزو العراق للكويت فيما يعرف بحرب الخليج الثانية. كما تأثروا بالانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية فى مواجهة التعنت والعنف الاسرائيلى مما أدى إلى التشكيك فى مدى مصداقية الحديث عن السلام مع اسرائيل. هذا إلى جانب الغزو الأمريكى البريطانى للعراق وما مثله من صدمة أدت إلى فقدان الثقة فيما تدعيه هذه الدول من قيم الحرية والديمقراطية والعدالة.[٩]

يتضح من التناول السابق لمحددات الثقافة السياسية للشباب أن مؤسسات التنشئة السياسية مازالت عاجزة عن أداء دورها فى نقل القيم والمعرف السياسية على نحو إيجابى. كما إنها تتجه فى ممارستها إلى تكريس ثقافة التسلط والسلبية أكثر من ثقافة التفاعل الإيجابى والحوار وقبول الأخر. يقترن ذلك بمجموعة من التحديات الداخلية والخارجية التى تواجه الشباب الأمر الذى يؤدى إلى تعميق الشعور بالاغتراب وتدعيم النزعة إلى التطرف لدى قطاع واسع من الشباب.

ثانياً: مضمون الثقافة السياسية للشباب قبل ثورة ٢٥ يناير:

أدت ثورة ٢٥ يناير إلى تغيير جذرى فى مضمون الثقافة السياسية للشباب وربما للمجتمع ككل. ويتضح ذلك من مقارنة هذا المضمون وفقاً لنتائج الدراسات والبحوث الميدانية قبل الثورة المصرية وبما توضحه المؤشرات والدلائل بعد الثورة. وتتمثل الاتجاهات العامة لثقافة الشباب السياسية قبل الثورة المصرية فى سبعة محاور أساسية تتعلق بمدى اهتمامهم بالسياسة، ومعرفتهم بالقيادات والمؤسسات السياسية، وقيمهم، وهويتهم السياسية، ومدى مشاركتهم فى الحياة السياسية، وميلهم للعنف، والتطرف، وذلك على النحو التالى:

(١) اهتمام الشباب بالسياسة:

كانت الدراسات الميدانية التى أجريت فى هذا الشأن تعكس تراجعاً واضحاً فى اهتمام الشباب بالسياسة. ففى إحدى الدراسات ذكر معظم الشباب (٩٠%) أنهم لا يهتمون بالسياسة إطلاقاً، وقد عللوا ذلك بـ:

- عدم فهمهم للسياسة بل أن بعضهم وصف نفسه بأنه يعانى من "أمية سياسية".
- الانشغال بالدراسة ثم بالبحث عن فرصة عمل وبناء مستقبلهم.
- حالة الاحباط المستمر لديهم، والتى تحول دون اهتمامهم بالامور التى تخرج عن نطاق حياتهم الشخصية ومنها الأمور السياسية.[١٠]

وتؤكد العديد من الدراسات الأخرى هذه النتيجة. فقد أوضحت دراسة استطلاعية على عينة من الشباب أن ٨٢,٧% منهم لا يهتمون بالأحداث السياسية، وأن ٥٧% منهم لا يحرصون على متابعة البرامج السياسية أو الندوات أو جلسات مجلسى الشعب والشورى. وأن ٧٠,٦% من شباب الريف، و٤٦,٧% من شباب الحضر لا يهتمون بالشأن العام.[١١] وأوضحت دراسة أخرى على عينة من شباب الجامعات المصرية أن ٣٤% فقط من المبحوثين يتابعون الأحداث الجارية بانتظام، و٤٦,٣% يتابعونها فى بعض الأحيان، و١٩,٧% يتابعونها وقت الأزمات فقط.[١٢] بل إنه فى دراسة استطلاعية لعينة من طلاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الذين من المفترض أن يكونوا الأكثر إهتماماً بالسياسة، عبر اكثر من ثلث الطلاب أن الموضوعات السياسية لا ترد ضمن اهتماماتهم.[١٣] وتتأكد هذه النتيجة من خلال تناول الأبعاد التالية للمعرفة السياسية للشباب.

(٢) المعرفة السياسية للشباب:

كانت الدراسات الميدانية تشير إلى ضعف المعرفة السياسية للشباب عامة بما فى ذلك شباب الجامعات الذين من المفترض أن يكونوا أكثر فئات الشباب ثقافة وتنوير. بل إنه وفقاً لإحدى الدراسات فإن الشباب قد أخطأ فى الاجابة على بعض الأسئلة التى تعتبر من قبيل البديهيات. فعلى سبيل المثال، أخطأ ٧٠% من الشباب عينة البحث فى سؤال حول متى قامت ثورة ١٩١٩ حيث ذكر بعضهم أنها قامت عام ١٩٥٢ وقام بها الزعيم أحمد عرابى، وأخرون قالوا أنها حدثت عام ١٨٨٢ وقام بها سعد زغلول. ورداً على سؤال حول من هو أحمد عرابى؟ ذكر أكثر من ٥٠% من المبحوثين أنه أسم شارع فى القاهرة بينما ذكر أخرون أنه زعيم ثورة ١٩١٩، فى حين ذكر البعض الثالث أنه مؤسس بنك مصر. [١٤]

أ. المعرفة بالقيادات السياسية:

أشارت الدراسات الميدانية التى أجريت إلى محدودية معرفة الشباب بالقيادات السياسية:

- ففى دراسة على طلاب المدارس بمراحلها المختلفة أتضح أن جميع أفراد العينة على معرفة برئيس الجمهورية، إلا أن ٧٠% فقط استطاعوا معرفة اسم رئيس الوزراء.
- ٣٥% فقط عرفوا اسم رئيس مجلس الشعب، و١٥% عرفوا اسم رئيس مجلس الشورى، وذلك رغم أن كلاهما كانا وزيراً للتعليم، إلى جانب عرض جلسات المجلسين فى التليفزيون بشكل دائم.
- محدودية المعرفة بالوزراء حيث لم تتجاوز نسبة المعرفة بوزير التعليم ٦٥%، وتراجعت هذه النسبة إلى ٤٥% لوزير الدفاع، و٣٠% لوزير الخارجية.
- كذلك الحال بالنسبة للمحافظين حيث لم تتجاوز النسبة ٣٥% لمحافظ القاهرة ، و١٥% لمحافظ الاسكندرية. [١٥] وفى دراسة أخرى على طلاب الجامعة لم يعرف نحو ٥٥.٩% من الطلاب اسم المحافظ لمحافظاتهم، رغم أن المحافظ يمثل قمة السلطة السياسية فى المحافظة.
- لم يعرف ٥٨.٥% من العينة اسم عضو مجلس الشعب عن الدائرة التى ينتمون إليها.
- لم يعرف زعيم المعارضة بمجلس الشعب نحو ٨٨.٣% من الطلاب.
- لم يعرف ٢٣.٤% أى حوالى ربع الطلاب اسم رئيس الجامعة الذى هو رئيس المؤسسة التعليمية التى ينتمون إليها.

- لم يعرف ١٨.٣% أى نحو خمس الطلاب اسم رئيس اتحاد الطلاب بالكلية والذى يعتبر الهيئة التمثيلية لهم أنفسهم.
- ١١.٥% يجهلون اسم سكرتير عام الأمم المتحدة رغم إجراء الاستطلاع بعد فوزه بالمنصب مباشرة.
- ٩٧.٥% منهم يجهلون اسم أمين عام منظمة الوحدة الأفريقية.
- ٣٣.٣% أى ثلث العينة تجهل اسم الأمين العام لجامعة الدول العربية.
- لم يعرف ٩٧.٧% اسم سكرتير عام منظمة المؤتمر الاسلامى.[١٦]

ب. المعرفة بالمؤسسات السياسية:

كانت الدراسات تشير إلى محدودية المعرفة بالمؤسسات السياسية لدى الشباب أيضاً حيث أن:

- ٦٠% من أفراد العينة فى أحد الدراسات لم يعرف المقصود بمفهوم الحكومة طبقاً للدستور، و٣٠% لم يعرف أو أخطأ فى تحديد كيفية اختيار رئيس مجلس الوزراء.
- أخطأ ٧٥% من المبحوثين فى تحديد مدة رئاسة الجمهورية، ولم يذكر المدة الصحيحة سوى ٢,٥% فقط، أما الباقين فلم يدلوا بإجابة.
- لم يعرف ٧٥% الفترة الدستورية لمجلس الشعب. كما أن المعرفة بسن القيد فى الجداول الانتخابية لم تتجاوز ٢٥% فى دراسة أخرى، كما ذكر الكثيرين أن انتخاب مجلس الشعب يتم كل ١٨ سنة فى خلط واضح بين المدة وسن الناخب. ولم يعرف المبحوثين كذلك موعد أخر انتخابات أجريت فى مصر ولا نوع هذه الانتخابات.
- لم يعرف ٩٥% من المبحوثين عدد الأحزاب السياسية فى مصر على نحو دقيق. وذكروا اسماء أحزاب مثل: الحزب الوطنى، الأخوان، الحزب الشيوعى، حزب الوفد، حزب الأمة، مما يعكس تأثر الطلاب بدراسة التاريخ بقدر أكبر من إدراك الواقع المعاصر حيث أن الأحزاب التى أشاروا إليها بعضها لم يعد له وجود وبعضها الأخر لم يكن موجوداً كحزب أصلاً وإنما كقوة سياسية خارج نطاق الشرعية (الأخوان المسلمين، والشيوعيين).

ولم يعرف ١٩% من المبحوثين من طلاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسة تاريخ إقرار التعددية الحزبية فى مصر رغم وجود أحد المقررات التى تتضمن ذلك، بل أن نحو ٨% ذكروا أن ذلك يعود إلى عام ١٩٥٢ وهو تاريخ الثورة التى قضت على التعددية الحزبية فى مصر.

- ٧٥% لم يعرفوا متى تم انشاء جامعة الدول العربية ولا أين يقع مقرها.[١٧]

د. المعرفة بالقضايا السياسية:

أوضحت إحدى الدراسات الميدانية أن ٥٩% من الشباب لايهتمون بالشأن العام. وأن ٧٥% منهم لم يعرف متى وكيف ولماذا بدأ الصراع العربى الاسرائيلى رغم كونه صراعاً ممتداً ويمثل أحد القضايا السياسية الهامة.[١٨] وفى دراسة أخرى عبر أكثر من ثلث العينة عن عدم متابعتهم لقرار الحكومة ببيع القطاع العام بالرغم من الأهمية البالغة التى يمثلها هذا القرار.[١٩] الأمر الذى يشير إلى محدودية المعرفة بالقضايا السياسة الداخلية والخارجية لدى الشباب.

(٣) الاتجاهات والقيم السياسية للشباب:

أ. اتجاهات الشباب نحو السلطة:

تشير الدراسات الميدانية التى أجريت إلى نظرة سلبية واضحة للشباب تجاه السلطة السياسية. فقد أوضحت إحدى الدراسات أن غالبية الشباب يشعرون أن حقهم فى الاحترام من قبل أجهزة الدولة مفقود تقريباً حيث ذكر ٩٦% من أفراد العينة أنهم لا يعاملون باحترام من قبل أجهزة الدولة، وأنهم محرومون من حقوقهم فى المجتمع وأهمها حق العمل.[٢٠]

وفى دراسة أخرى رأى ٤٥% فقط من الشباب أن السلطة السياسية ضرورية لأنها تسهم فى التعامل مع الأوضاع الخارجية وفى تحسين مستوى المعيشة والأوضاع الديمقراطية، فى حين رأى ٤٠% أنها غير ضرورية.[٢١] وفى دراسة أخرى رأى الشباب أن صفات أهل السلطة غير موضوعية من قبيل المحسوبية والنفاق وطاعة الرؤساء أو درجة الغنى. وفى ردهم على سؤال حول كيفية انهاء حكم ظالم، رأى خمس العينة (٢٠%) أن هذا الأمر موكول إلى الله، فى حين أعرب ١٨% منهم عن عدم معرفتهم بكيفية إنهاء حكم مثل هذا المسئول، وهو ما يوحى بقدر كبير من السلبية فى أوساط الشباب تجاه السلطة.[٢٢]

ب. اتجاهات الشباب نحو قيم الديمقراطية:

فيما يتعلق بمفهوم الشباب للديمقراطية، أوضحت دراسة على عينة من طلبة المدارس والجامعات أن الديمقراطية تعنى لغالبيتهم حرية الرأى، وأن عدم مشاركة الجماهير من أهم العوامل التى تحد من الديمقراطية، ويمكن فهم ذلك بالنظر إلى طبيعة الشباب وما يشعر به من رغبة فى تكوين شخصيته وأن يكون له رأى مستقل. فى حين رأت نسبة ضئيلة منهم أن الديمقراطية هى أن يتم تداول السلطة.(٢٣)

من ناحية أخرى، وفيما يتعلق بتقييم الشباب لتجربة الديمقراطية فى مصر أوضحت إحدى الدراسات أن غالبية الشباب يروا أنه لا توجد ديمقراطية فى مصر فى حين رأت الأقلية أن هناك ديمقراطية ولكنها مشروطة ومقيدة حيث رأوا أنه:

- توجد ديمقراطية وحرية ولكن فى الأمور التى تريد الحكومة حرية فيها.
- توجد حرية إلى حد ما فى التعبير عن الرأى والفكر ولكن هناك فئات لو عبرت عن رأيها تعتقل فى السجون.
- أن الديمقراطية فى مصر أفضل من فترات سابقة ولكن مازالت ليست كالديمقراطية فى أوربا وأمريكا.

أما مظاهر عدم الديمقراطية فقد رأوا أنها تتمثل فى أنه لا يوجد حرية مطلقة فى التعبير عن الرأى؛ ولا يستطيع أحد ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية؛ ولا يستطيع أحد الاعتراض على سياسة أى وزير مهما كانت فاشلة؛ ووجود بعض القوانين الاستثنائية لاسيما قانون الطوارئ؛ وتزوير الانتخابات.

كما أجمع المبحوثين على أن تداول السلطة "مستحيل" "وغير ممكن" "وغير متصور" و"حلم"، وأن التعددية الحزبية فى مصر مقيدة وشكلية ومن الصعب أن ينافس أى حزب معارض الحزب الوطنى.(٢٤)

جـ. قيم الانتماء والمواطنة :

على حين تضعف ثقة الشباب فى مؤسسات الدولة لأنها لا تخدم مصالحهم ويشوبها الفساد من وجهة نظرهم، فإنهم ينتمون بشدة إلى مصر ويعتزون بمصريتهم.

ففى سؤال عن صورة مصر لديهم وعلى حين عبر ١٢% من الشباب عن إنه "حدث لها تشويه بسبب الفساد، أو لأن فيها ظلم، أو إنها منهوبة، ..."، عبرت الغالبية العظمى منهم (٨٨%) عن إنها "أمى، أحسن بلد فى الدنيا، أم الدنيا، المحروسة، غالية على، ....."، وهو ما يعنى أنه كان هناك فصل لدى غالبية الشباب بين مصر كوطن من ناحية، ومؤسسات الدولة وما قد يكتنف سياستها من سلبيات من ناحية أخرى.(٢٥)

كما أوضحت دراسات أخرى تمتع الشباب بروح الانتماء للوطن، ويتضح ذلك من المؤشرات التالية :

- أن ٥٦% من أفراد العينة رفضوا الهجرة إلى خارج البلاد، وعبروا عن أعتزازهم بكونهم مصريين وبإنتماءهم إلى الوطن.

أما من عبروا عن رغبتهم فى الهجرة إذا اتيحت لهم الفرصة (٤٤%) عللوا ذلك بسببين رئيسيين هما: البحث عن فرصة عمل، وتحسين مستوى المعيشة، أى أن البطالة هى عامل الطرد الأساسى من الوطن وهى السبب الأقوى وراء البحث عن مكان آخر.[٢٦] وقد أيدت العديد من الدراسات هذه النتائج وبنسب تقترب مما توصلت إليه الدراسة السابقة.[٢٧]

- ارتفاع نسبة الاستعداد للقيام بأى عمل تطوعى بين الشباب (٩٤%) والذى يعتبر مؤشراً على الانتماء باعتبار العمل التطوعى عمل اختيارى لايقوم به إلا من يشعر بالإنتماء سواء للأفراد الذين يتطوع من أجلهم أو للمجتمع الذى ينتمى إليه وللوطن ككل.

كما أن الرافضين للقيام بأى عمل تطوعى أشاروا إلى اسباب رفضهم بأنها الأنشغال بالدراسة، وعدم وجود وقت كاف للقيام بالأعمال التطوعية، أو عدم معرفة الوسيلة التى يمكن أن يشاركوا بها فى هذه الأعمال، أو رفض أسرهم لذلك خوفاً من ضياع وقت الدراسة وهى فى مجملها أسباب لاتنم عن عدم الرغبة فى التطوع، فنسبة ضئيلة ٢,٥% هى التى عبرت عن ذلك لعدم الاقتناع بجدوى هذه الأعمال.[٢٨]

(٤) المشاركة السياسية للشباب:

كانت الدراسات الميدانية المختلفة حول المشاركة السياسية للشباب قبل ثورة ٢٥ يناير تشير إلى محدودية هذه المشاركة، ويتضح ذلك من المؤشرات التالية :

أ. عزوف الشباب عن المشاركة السياسية:

أوضحت أحدى الدراسات الميدانية أن ٤٦%من الشباب يرفضون المشاركة السياسية أو يعزفون عنها لسبب أساسى وهو سيطرة الخوف من السياسة فى الأسرة المصرية حيث يرفض الأباء انخراط ابنائهم فى العمل السياسى ويطالبونهم بالعزوف عنه بما فى ذلك الانضمام للأحزاب السياسية.[٢٩] وفى دراسة أخرى أشار الشباب أنفسهم إلى مجموعة من العوامل التى تدفعهم إلى العزوف عن المشاركة السياسية يمكن بلورتها فى إطار ثلاث مجموعات من العوامل، هى:

- **عوامل ذاتية:**

- عدم اهتمام الشباب بالسياسة نتيجة المناخ السياسى والفكرى وروح السلبية السائدة فى المجتمع ككل.
- عدم إدراك أهمية المشاركة السياسية للفرد والمجتمع.
- ترويج مجموعة من القيم المتطرفة بين الشباب التى تتهم الحكومة بالكفر وتكفر من يتعامل معها.
- الشعور بعدم الثقة فى جدية الاصلاح السياسى ونزاهة الانتخابات وجدوى المشاركة.
- شيوع الاعتقاد بأن من يدلى برأيه بحرية يتعرض للأذى من جانب أجهزة الأمن.
- فقدان احترام الذات والاحساس بإهانة النفس المصرية، والتقليل من قدرتها على الانجاز.

- **عوامل مؤسسية ومجتمعية:**

- جهل الشباب باجراءات استخراج البطاقة الانتخابية، وصعوبة هذه الاجراءات من وجهة نظرهم. وعدم شفافية الجداول الانتخابية وعدم التحديد الواضح لأماكن التصويت.
- غياب التنشئة الاجتماعية السليمة التى تحث الشباب على المشاركة الايجابية، بل وخوف معظم الأسر من السياسة ومعارضتها لاهتمام الأبناء بالسياسة، ولأى شكل من أشكال المشاركة السياسية.
- انتشار الحديث حول السلبيات فى المجتمع دون الايجابيات.
- المناهج التعليمية لا تتضمن ما يحث على المشاركة السياسية.
- عدم قيام أجهزة الاعلام بدورها فى توعية الشباب بأهمية وسبل المشاركة السياسية.
- فقدان الثقة فى رموز العمل السياسى نتيجة اتباع بعضهم أساليب غير شريفة مثل البلطجة والرشوة، والاحساس بأن هناك "ناس فوق القانون".
- الفجوة بين الاجيال وسيطرة جيل من كبار السن على قيادة الأحزاب، وعدم إتاحة الفرصة للشباب للمشاركة الفعالة داخلها.

- **عوامل اقتصادية:**

- عدم اشباع الاحتياجات الأساسية للشباب وأولوية اشباع هذه الاحتياجات باعتباره متطلب سابق على الحقوق السياسية والمعنوية.
- البطالة وعدم قدرة المجتمع على استيعاب طاقات وقدرات الشباب مما يولد لديهم الشعور بالاغتراب.[٣٠]

ب. ضآلة نسبة من يحوزون بطاقة انتخابية:

تفاوتت الدراسات فى الإشارة إلى نسبة من يحوزون بطاقة انتخابية بين الشباب، والتى كانت قبل الثورة متطلب رئيسى للتصويت فى الانتخابات كأحد أبرز مؤشرات المشاركة السياسية. فقد أوضحت إحدى الدراسات أن هذه النسبة لم تتجاوز (٦,٧%)، وذلك نتيجة عدم معرفة إجراءات استخراجها أو عدم الشعور بأهمية ذلك، كما أن ٣٧,٥% ممن يحملون بطاقة انتخابية لم يشاركوا بالتصويت فى الانتخابات لأنهم يعتقدون أنه لاقيمة لصوتهم أو لأن الانتخابات غير نزيهة، أو لعدم وجود وقت لذلك لديهم، أو لعدم معرفتهم بالمرشحين ومبادئهم.[٣١]

جـ. هزالة الانتماء إلى الأحزاب السياسية:

أوضحت إحدى الدراسات أن نسبة من ينتمون إلى أحزاب بين الشباب لم تتجاوز ٥% من العينة، أنتمى ما يزيد عن ٩٠% منهم إلى الحزب الوطنى. ولم يذكر الشباب أى أحزاب معارضة باستثناء الحزب الناصرى (فرد واحد فقط من أفراد العينة، وفى دراسة أخرى تمت الاشارة إلى حزب التجمع فقط). وأوضحت الدراسة أن أسباب عدم الانضمام للأحزاب – كما ذكرها المبحوثين– تتمثل فى :

- عدم المعرفة بنشاط تلك الأحزاب وكيفية المشاركة فيها.
- عدم الاقتناع بفاعلية الأحزاب ودورها فى المجتمع.
- عدم الأهتمام بالسياسة.
- أن هذه الأحزاب لا تسعى إلا لمصالحها.
- أن من ينضم لغير حزب الحكومة يتعرض للمتاعب.
- هذا إلى جانب بعض الأسباب المتعلقة بالانشغال بالدراسة وعدم وجود وقت.
- وأشارت نسبة ضئيلة إلى أن الانتماء إلى الأحزاب يحتاج إلى وساطة وهو ما يكشف عن قصور فى وعى الشباب بالحياة السياسية.[٣٢]
- اتباع الأحزاب سبل وآليات اتصالية تقليدية غير قادرة على استيعاب التغيرات التى طرأت على فكر الشباب وثقافته والتعامل معها على النحو الذى يجعل منها مؤسسات جاذبة للشباب.

د. ضعف مشاركة الطلاب فى أنشطة الاتحادات الطلابية:

تعتبر مشاركة الطلاب فى الاتحادات الطلابية أحد صور المشاركة السياسية باعتبارها الهيئات التمثيلية المنتخبة التى تعبر عنهم. وقد أوضحت أحدى الدراسات أن ٩١% من الطلاب لا

يشاركون فى المنتديات الطلابية أو الثقافية أو السياسية. وقد علل الطلاب عزوفهم عن المشاركة فى أنشطة الاتحادات الطلابية وانتخاباتها بالأنشغال فى الدراسة وضيق الوقت بسبب نظام الفصل الدراسى، وعدم تعبير الاتحاد عن مطالب واهتمامات الطلاب، وتركيزه على الأنشطة التافهة كالحفلات والرحلات وأنه لا توجد جدوى حقيقية للاتحاد وانه يستخدم كأداة للصراع الحزبى والسياسى داخل الجامعة.[٣٣]

(٥) الشباب والعنف السياسى:

أوضحت إحدى الدراسات أن نسبة كبيرة من الشباب على اقتناع بفاعلية المظاهرات فى تغيير الأوضاع السلبية وأنهم على استعداد للمشاركة فيها باعتبارها أحد السبل للتعبير عن الرأى.

يؤكد ذلك أعمال التظاهر والاحتجاج الواسعة النطاق والتى يشارك فيها اعداد كبيرة من الشباب حول القضايا ذات الدلالات الوطنية والقومية والإسلامية وابرزها مظاهرات حرب الخليج الثانية ١٩٩١، والحرم الابراهيمى فبراير ١٩٩٤، جامعة الأزهر مايو ٢٠٠٠، والانتفاضة الفلسطينية ٢٠٠٢. والمظاهرات المنددة بالرسوم المسيئة للرسول الكريم التى نشرتها إحدى الصحف الدنماركية عام ٢٠٠٦.

وهو ما يعنى أن الشباب على استعداد للمشاركة الفعالة وأن عزوفهم عن المشاركة ليس سلبياً ولكن هو شكل من أشكال الاحتجاج والرفض لهياكل ومؤسسات المشاركة القائمة وآلياتها التى لا تحظى بثقة الشباب ولا تعبر عنهم على النحو الذى يدفعهم للمشاركة فيها.[٣٤]

(٦) الهوية والاغتراب لدى الشباب:

يتنازع شباب اليوم أربع دوائر للهوية، وهى :

- الهوية الوطنية أو القومية التى ترتكز على الحدود السياسية للدولة والشعور بالولاء والانتماء والمواطنة لمصر.
- الهوية العربية التى ترتكز على وحدة اللغة والتاريخ والتقارب الثقافى بين الدول العربية وتتخذ من الوحدة العربية غاية لها.
- الهوية الإسلامية وترتكز على العقيدة أكثر من الوطنية أو القومية.

- الهوية العالمية، التى ترتكز على الانتماء للحضارة الانسانية عامة، وأن العالم يتجه نحو تبنى منظومة واحدة من القيم العابرة للثقافات المختلفة، وساعد على ذلك ثورة الاتصالات التى مكنت كل شاب من الاتصال بغيره فى مختلف بلدان العالم.

ولا يوجد خطورة من تعايش هذه الدوائر الأربع للهوية طالماً كان ترتيبها يعطى الأولوية للهوية الوطنية المصرية، ويبدأ الخطر فى تقدم أى من الهويات الثلاث الأخرى على الهوية الوطنية حيث أنه فى هذه الحالة نصبح أمام أزمة هوية لدى الشباب.[٣٥] ومن الملاحظ أنه أصبح هناك مجموعات مختلفة من الشباب يعلى كل منها أحد دوائر الهوية على الأخرى. مما أدى ليس فقط إلى أزمة هوية لدى بعضهم ولكن إلى فجوة وتصادم فى الرؤى والمعتقدات بين الجماعات المختلفة.

من ناحية أخرى، كان من الملاحظ قبل الثورة المصرية أزدياد ظاهرة الاغتراب وشيوع الاحساس بالامبالاة، وعدم إكتراث الشباب بما يجرى حوله من تطورات طالماً أنه عاجز عن التأثير فيها. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب:

- اختلال معايير الكفاءة وشيوع الموالاة وكسب الثقة وتبادل المصالح والمنافع على حساب الكفاءة والاتقان. وعدم وضوح معايير الحراك الاجتماعى واعتمادها على العلاقات الشخصية مما يؤدى إلى رفض صريح للمؤسسات والنخب المرتبطة بها والتساؤل عن مشروعية المكانة التى تحتلها والامتيازات التى تحظى بها وتنامى الاحساس بالاغتراب. فقد أوضحت إحدى الدراسات أن الشباب (بنسبة٦٠%) يعتقد أن السبيل الأكثر فعالية فى الحصول على وظيفة فى المجتمع المصرى هو الوساطة. فى حين رأى ٢٠% أنه الكفاءة، ولم تستطع نفس النسبة (٢٠%) تحديد معيار لذلك. كما رأى ٦٠% من العينة أن المستقبل أسوا من الحاضر وعلل البعض ذلك بالواقع الاقتصادى الحالى والبطالة وارتفاع الأسعار وانخفاض المستويات الاقتصادية.[٣٦] وهو ما يوضح مدى الاحباط والتشاؤم الذى كان ينتاب الشباب المصرى لمستقبله ونظرته السلبية للنظام السياسى.
- ظهور كثير من التناقضات الاجتماعية لبعض السياسات الاقتصادية التى أدت إلى تفاوتات كبيرة فى الدخل والثروة انعكست بدورها فى تزايد الشعور بالحرمان الاقتصادى الناجم عن عدم تلبية الاحتياجات الأساسية للشباب.
- تداعى تأثير المناخ الدينى والاخلاقى والروحى فى ظل طغيان القيم المادية على المبادئ والقيم، وضعف وازع الدقة والاتقان.
- الهزة التى أصابت رموز السلطة فى المجتمع والدولة معاً بدءاً من هيبة الأب والجد داخل الأسرة مروراً بهيبة مدير المدرسة وناظرها والمدرسين وصولاً إلى هيبة رموز الدولة بدءاً من عسكرى المرور.

- افتقاد الشباب للقدوة بسبب تحطيم وتشويه تاريخ كثير من القادة أو الزعماء الذين شاركوا فى صناعة تاريخ مصر، وأدوا دورهم فى ظروف سياسية واقتصادية بالغة الصعوبة.
- أن القنوات القائمة لاتتيح القدر الكافى من المشاركة للشباب وتؤدى إلى تكريث استمرار احتكار السلطة بمفهومها الشامل فى يد نخبة حاكمة ضيقة.[٣٧]

(٧) الشباب والثقافة الفرعية الرافضة (التمرد والتطرف):

التمرد هو نوع من التحدى أو الرفض لما هو قائم بهدف تغييره. وللتمرد أشكال مختلفة فقد يترجم فى صورة رأى مخالف أو رافض لما هو قائم، وقد يتخذ شكلاً أكثر عنفاً فى صورة احتجاج أو مظاهرة، ويبلغ أقصى درجات العنف فى صورة الهجمات المسلحة ضد رموز النظام ومؤسساته ومنشآته. كما أنه قد يأتى من جانب مجموعة محدودة من الأفراد مشكلة جماعة سياسية أو أنفصالية، وقد يأخذ صورة جماهيرية أوسع تصل فى بعض الاحيان إلى حد الثورة والاطاحة بالنظام.

ويبدأ التمرد لدى الشباب فى سن مبكرة وذلك فى مرحلة المراهقة فى صورة رفض الانصياع لارادة وتوجيهات الوالدين. إلا أنه قد يأخذ صوراً أكثر حدة وذات طابع سياسى نتيجة التأثر بتيارات فكرية وسياسية معينة، فيما يعرف بالتطرف.

ويقصد بالتطرف التأييد التام لموضوع ما، أو لفكرة ما، أو المعارضة المطلقة لموضوع ما أو فكرة ما، دون القبول بمواقف بينية أو حلول وسط، وهو بذلك أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أى معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة التى ينتمى إليها أو التسامح معها، والشخص المتطرف لاتتسم إجابته بالوسطية، فهو إما أن يقبل الشئ قبولاً مطلقاً، أو يرفضه رفضاً مطلقاً، مدافعاً عن موقفه بكل ما يملك من قوة.

وتظهر خطورة التطرف إذا تلازم مع اتجاه البعض إلى استخدام العنف لإحداث تغيير ما سياسى أو اجتماعى، وهو ما أصطلح على تسميته بالإرهاب، ويرى بعض المفكرين أن الإرهاب وليد التطرف، وأن العلاقة بين التطرف والإرهاب علاقة إيجابية ضمنية.

ولاتتوافر بيانات عن حوادث الإرهاب فى مصر وتوزيعها حسب الأعمار المختلفة، حتى يمكن معرفة حجم المشكلة بالنسبة للشباب، إلا أنه فى استطلاعاً لرأى الشباب حول قضية التطرف والارهاب أكد الشباب المشارك على أن الارهاب مرآة تعكس جملة من المشكلات والأزمات التى يعانى منها الشباب والمجتمع ككل، وتعتبر هى السبب الرئيسى للإرهاب. ويأتى فى

مقدمتها البطالة التى حظيت بشبه إجماع على أنها أهم الاسباب التى قد تدفع الشباب للإنخراط فى التطرف والارهاب. يليها غياب الوعى الدينى السليم لدى الشباب وعدم قيام رجال الدين بدورهم فى التوعية الدينية لمواجهة الأفكار المتطرفة الواردة من الداخل والخارج عبر شبكة الانترنت. ثم عدم شعور الشاب "بأدميته" وبالأمان والثقة فى نفسه وفيمن حوله وافتقاد لغة الحوار معهم نتيجة رفض "الكبار" الاستماع للشباب، أو كما لخصها أحدهم: "قولوا ما شئتم وسنفعل ما نشاء". كذلك ضعف دور الدولة فى الرقابة على ما يبث فى عقول الشباب. هذا إلى جانب مجموعة أخرى من الأسباب أهمها عدم العدالة فى التوزيع والفجوة بين الطبقات، وقصور النظام التعليمى وتهميش التربية الدينية بالمدارس، وقصور برامج شغل أوقات الفراغ، وافتقاد القدوة، والتفكك الأسرى، والعنف الأسرى، وقصور الخدمات لاسيما فى المناطق العشوائية؛ وعنف الدولة ممثلة فى أجهزة الأمن تجاه المواطنين مما يؤدى إلى عنف مضاد من جانبهم تجاه الدولة.

يضاف إلى ذلك الاحباط واليأس نتيجة الفجوة بين السلوك اللفظى للدولة وما ترفعه من شعارات والسلوك الفعلى لها لاسيما فيما يتعلق بالديمقراطية وحرية الرأى. إلى جانب السلوك الاستفزازى للدولة فى الانفاق على الاحتفالات، وعدم احترام الدولة (من وجهة نظرهم) للعلماء والمفكرين ورجال الدين واعطائهم الفرصة والمكانة اللائقة بهم. فقد بدا واضحاً أن الشباب لا يثق كثيراً فى الدولة نتيجة وعود الحكومة التى لم تتحقق، وعدم الاستماع إليهم، أو الاستجابة لمطالبهم. كما أن الشباب لا يلمس اهتمام المسئولين به كمواطن والحرص من جانبهم على النزول للشارع وتفقد أحوالهم. هذا، ولم يحظ البعد الخارجى وتأثيره على انخراط الشباب فى التطرف والارهاب بتأييد من جانب الشباب، مما يعنى محدودية تأثيره من وجهة نظرهم.[٣٨]

ثالثاً: التغير فى الثقافة السياسية للشباب بعد ثورة ٢٥ يناير:

يوضح التناول السابق لأهم أبعاد وملامح الثقافة السياسية للشباب، على ضوء الدراسات الميدانية واستطلاعات الرأى التى أجُريت، أن مقدمات الثورة كانت كامنة فى أذهان الشباب. وأنه رغم التباين والاختلاف بين الشباب الأمر الذى يصعب معه القول بوجود ثقافة سياسية واحدة لكل الشباب المصرى، فقد كان هنا توجهات عامة لهذه الثقافة، اختلفت فى الدرجة من فئة شبابية إلى أخرى، ومن منطقة جغرافية لأخرى، وكانت جميعاً تدفعهم فى اتجاه الثورة، أهمها تمتع الشباب بروح الانتماء للوطن مع نظرة سلبية واضحة تجاه السلطة السياسية، وشعور واضح بغياب الممارسة الديمقراطية، فى فصل واضح لدى الشباب بين الوطن من ناحية، والنظام السياسى وعلى قمته الرئيس والحكومة من ناحية أخرى.

وأن عزوف الشباب عن المشاركة السياسية لم يكن سلبية من جانبهم أو عدم اهتمام بمجريات الحياة السياسية أو نقص فى الوعى بها، وإنما رفض ومقاطعة للعملية السياسية التى كانت تفتقر للنزاهة ويشوبها الفساد والإنحياز والإقصاء. فعزوف الشباب عن المشاركة ليس سلبية منهم ولكنه كان شكل من أشكال الاحتجاج والرفض لهياكل ومؤسسات المشاركة القائمة وآلياتها التى لا تحظى بثقة الشباب ولا تعبر عنهم على النحو الذى يدفعهم للمشاركة فيها. كما إن شرائح الشباب التى تعانى البطالة ويكتنفها الإحباط واليأس والاغتراب كانت من أكثر الفئات ميلاً للانخراط فى الثورة.

وقد أدت الثورة إلى تغير كبير وهام فى الثقافة السياسية لدى الشباب، ولعل أبرز الأبعاد التى شهدت تغييراً ملحوظاً ما يلى:

(١) أزدياد درجة الاهتمام السياسى لدى الشباب:

مثل الشباب الشعلة التى أوقدت ثورة ٢٥ يناير، وكان الشباب هم القوة الفاعلة التى قادت الثورة، وفجرتها ليس فقط عبر الفيس بوك ومواقع التواصل الاجتماعى على شبكة الأنترنت، ولكن على الأرض وفى الميدان. صحيح إن كل طوائف الشعب ومختلف الأعمار شاركت فى الثورة إلا إن الشباب كانوا الأبرز والأكثر إصراراً وصموداً.

ولقد دحض ذلك كل مقولات ما قبل الثورة حول سلبية الشباب وعزوفهم عن المشاركة. فالشباب لم يكن عازفاً وإنما رافضاً للمؤسسات القائمة التى لم تحظ قط بثقته، ولم يراها جديرة بمشاركته. رافضاً لآليات وقنوات المشاركة التى رأى إنها صورية ولا تعبر عنه. وهذا الرفض هو أحد صور الاهتمام السياسى الذى يعد أولى درجات المشاركة السياسية.

ولاشك إن استحضار طاقات الشباب على هذا النحو لهو واحد من أهم إنجازات الثورة التى يتعين الحفاظ عليها واستثمارها فى إحداث تغيير حقيقى فى بنية المؤسسات القائمة على النحو الذى يتيح مشاركة شبابية أوسع نطاقاً وأكثر تأثيراً فى مختلف أبعاد العملية السياسية ومؤسساتها، ويضمن إستمرارية دور الشباب فى العمل السياسى.

ومنذ اليوم الأول للثورة وحتى الآن يتصاعد اهتمام الشباب بالتطورات السياسية، والقضايا المجتمعية والسياسية. فقد أطلقت الثورة المصرية طاقات الشباب واهتمامهم بالسياسة من مختلف الطوائف والفئات العمرية.

(٢) أزدياد المشاركة السياسية للشباب:

إن الشباب هم طاقة المجتمع والقوة الفاعلة والمؤثرة فيه، ولايمكن تصور ديمقراطية حقيقة دون مشاركة واسعة من جانب ثلث المجتمع الذى يمثل نصف الحاضر وكل المستقبل وهم الشباب. يضاف إلى ذلك أن رؤية الشباب ومشاركتهم عادة ما تأتى وطنية نقية، تحركها مشاعر حب الوطن والرغبة فى تطويره والإرتقاء به، رؤية لا تتأثر بالمصالح والمساومات والأطماع السياسية التى يعرفها السياسيين المتمرسين.

وقد أدت ثورة ٢٥ يناير إلى كسر حاجز الخوف بين الشباب من المشاركة السياسية ولدى الاسرة المصرية التى كانت تخاف على أبنائها اعتقاداً منها بأن العمل السياسى سوف يجلب المتاعب والمشاكل لهم ، وهو ما جعلهم يمنعون ابنائهم من العمل بالسياسة ، كما أن الثورة المصرية أسقطت القناع الذى كان يحجب العمل السياسى على طلاب الجامعة داخل الحرم الجامعى، ومن ثم فإنه منذ اندلاع الثورة المصرية تتصاعد مشاركة الشباب، ويتخذ هذا أكثر من بعد:

- الإقبال غير المسبوق على التصويت وهو الأمر الذى بدا واضحاً فى الاستفتاء على التعديلات الدستورية فى ١٩ مارس، ثم فى انتخابات مجلس الشعب، فالانتخابات الرئاسية التى تعد أحد أهم التطورات السياسية فى مصر ما بعد الثورة، ويعتبرها البعض تطور مفصلى سيحسم كثير من القضايا الجدلية التى انهكت المواطن المصرى، وتضع مصر على بداية تغيير حقيقى يأمله كل المصريين خاصة فيما يتعلق بأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية التى تزداد تدهوراً وتأزماً فى ظل استقطابات سياسية تشيع عدم الاستقرار وتقلل من فرص التنمية. ولاشك أن الشباب لديهم طموحات وتطلعات لمصر وللمجتمع ولأنفسهم، ولهم رؤيتهم وتقييمهم لما يحدث فى مصر عامة وإزاء الانتخابات الرئاسية خاصة، وهو ما دفعهم إلى المشاركة بفاعلية فى الانتخابات.

- إنشاء إئتلافات ثورية شبابية ومثال ذلك: ائتلاف شباب الثورة، حركة شباب ٢٥ يناير، تحالف ثوارمصر، ائتلاف مصرالحرة، .....
- تركت مجموعات من الشباب أحزابهم التقليدية التي ينتمون إليها بعد الثورة ، والتي كانت تصنف إما أنها تابعة للنظام ، أوغير متحمسة للعمل الشبابي ، وانضموا إلى أحزاب أخرى تنتمى إلى ذات الاتجاه الأيديولوجي مثل الخروج من الناصري والانضمام للكرامة، أوالخروج من التجمع والانضمام للتحالف الاشتراكي ، أوالخروج من الوفد والانضمام للجبهة. فى حين بقى البعض الأخر داخل أحزابهم التقليدية وحاولوا تغيير نظرة القيادة وقناعات قيادات الحزب التقليدية لهم ولدورهم وتصعيد بعضهم في المناصب القيادية بالحزب، أو تغيير هذه القيادات ذاتها، إلا إن محاولتهم لم تكلل بالنجاح فى الأعم الأغلب من الحالات حيث قاومت القيادات التقليدية التغيير وتشبست بمناصبها العليا والقيادية فى الحزب. كما زاد إقبال الشباب على الانضمام إلى كيانات سياسية قائمة سواء كانت أحزاب أو حركات سياسية.

ورغم الإنجاز الذى حققته الثورة فيما يتعلق بالثقافة السياسية للشباب ومشاركتهم فى الحياة السياسية، إلا إن هذه المشاركة مازالت دون المستوى الذى يليق بحجم ما قدموه من تضحيات خلال الثورة. فمازالت نسبة تمثيلهم فى البرلمان متدنية، ولم تستطع الحركات والإئتلافات الشبابية بلورة نفسها وتأسيس أحزاب سياسية تعبر عنهم وتكون قادرة على المنافسة السياسية. ويظل الأمل فى أن يتاح للشباب خلال المرحلة القادمة تمثيل أكثر عدالة فى المجالس المحلية وغيرها من مواقع صنع القرار على كافة المستويات.

هوامش الدراسة

١. الشباب فى مصر: ديموجرافياً واجتماعياً واقتصادياً، المركز الديموجرافى بالقاهرة، مايو ٢٠٠٣، ص ص٢-٣.

٢. المرجع السابق ، ص ص ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٦.

٣. Almond, Gabriel & Powell, Bingham, Comparative Politics: A Development Approach, Boston: Little Brown, 1960, p. 50.

٤. د. على الدين هلال و د. كمال المنوفى، التعليم والتنشئة السياسية: القضايا النظرية والتراث المصرى، فى د. كمال المنوفى (محرر)، التعليم والتنشئة السياسية فى مصر، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص ص ١٥-١٧.

٥. إصدار المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية حول الندوة التى نظمها المركز بالتعاون مع وزارة الشباب فى إطار "برنامج الثقافة الشبابية" حول موضوع: "النظام التعليمى ومتطلبات الشباب"، وذلك بمركز شباب ميت عقبة، يوم الأربعاء ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥.

٦. د. نجوى الفوال، ود. آمال كمال، برامج الشباب فى التليفزيون المصرى: دراسة على الجمهور، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٤، ص ص ٧٩-٨٠، ١٣٨-١٤٠، ١٥٤-١٥٥.

٧. د. ليلى عبد المجيد، وقائع المؤتمر العلمى السنوى الرابع لكلية الاعلام: الاعلام وقضايا الشباب، مجلة النيل، العدد ٧١، ١٩٩٨، ص ٨٧.

٨. الشباب فى مصر: ديموجرافياً واجتماعياً واقتصادياً، م.س.ذ.، ٣٧-٣٩.

٩. د. أسامة الغزالى حرب، الأجيال والسياسة فى مصر المعاصرة، مجلة الديمقراطية، العدد السادس، ربيع ٢٠٠٢، ص ٧١.

١٠. سلوى العامرى، الشباب وقضايا السياسة: الواقع والرؤى المستقبلية، فى د. عزت حجازى وأخرون (محررون)، المؤتمر السنوى الثالث (٩-١٣ مايو ٢٠٠١)، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ٥٠٢ – ٥٠٣.

١١. الأهرام، ٢٠٠٤/٣/١..

١٢. د. ليلى عبد المجيد، م.س.ذ.، ص ٨٥.

١٣. د. عبد السلام نوير، الثقافة السياسية لطلاب الجامعات: دراسة ميدتنية على طلاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فى د. حنان قنديل (محرر)، مصر فى عيون شبابها، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، ٢٠٠١، ص. ٢٥٨.

١٤. الأهرام، ٢٠٠٤/٣/١.

١٥. www.albayan.co.ae/albayan/alarbea/2003/issue 214/orbit/1htm

١٦. د. عبد السلام نوير، م.س.ذ.، ص ص ٢٥٩-٢٦٣.

١٧. المرجع السابق، ص ص ٢٦٤-٢٧٠.

www.albayan.co.ae/albayan/alarbea/2003/issue 214/orbit/1htm

الأهرام، ٢٠٠٤/٣/١.

١٨. الأهرام، ٢٠٠٤/٣/١.

١٩. د. عبد السلام نوير، م.س.ذ.، ص ٢٧٢.

٢٠. منى يوسف، وحسن سلامة، استطلاع رأى عينة من شباب المدارس والجامعات حول المواطنة والمشاركة السياسية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٤١، العدد الأول، يناير ٢٠٠٤، ص ص ٣١-٣٢.

٢١. www.albayan.co.ae/albayan/alarbea/2003/issue 214/orbit/1htm

٢٢. د. عبد السلام نوير، م.س.ذ.، ص٢٧٤.

٢٣. منى يوسف، وحسن سلامة، م.س.ذ.، ص٤٣.

٢٤. سلوى العامرى، م.س.ذ.، ص ص ٥١٣-٥١٦.

٢٥. د. نورهان الشيخ، الشباب والمجال العام : من أين يبدأ التغيير؟، ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر "تحولات المجال العام فى مصر: تنامى الصراع ومستقبل التوافق الاجتماعى"، الذى نظمه مركز البحوث والدراسات السياسية خلال الفترة ١١-١٢ ديسمبر ٢٠٠٧.

٢٦. منى يوسف، وحسن سلامة، م.س.ذ.، ص ص ٣٩-٤٠.

٢٧. د. عبد السلام نوير، م.س.ذ.، ص ٢٨٩.

www.albayan.co.ae/albayan/alarbea/2003/issue 214/orbit/1htm

٢٨. منى يوسف، وحسن سلامة، م.س.ذ.، ص ص ٣٥-٣٧.

٢٩. الأهرام، ٢٠٠٤/٣/١.

٣٠. إصدار المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية حول الندوة التى نظمها المركز بالتعاون مع وزارة الشباب فى إطار "برنامج الثقافة الشبابية" حول موضوع: "الشباب والمشاركة السياسية"، وذلك بمركز شباب السيدة زينب، يوم الأربعاء ١٧ أغسطس ٢٠٠٥، وحضرها ١٠٠ شاباً وفتاة.

٣١. منى يوسف، وحسن سلامة، م.س.ذ.، ص ص ٤٥-٤٧.

٣٢. اتجاهات الشباب نحو دور الأحزاب فى التنشئة السياسية: دراسة ميدانية على أقليم القاهرة الكبرى، دراسة غير منشورة، وزارة الشباب، ٢٠٠٠،ص ٢٥١.

ود. عبد السلام نوير، م.س.ذ.، ص ٢٨٧.

٣٣. منى يوسف، وحسن سلامة، م.س.ذ.، ص ص ٥٠-٥١.

٣٤. د. السيد عليوة، تنشئة الشباب: الواقع والآفاق، مجلة الديمقراطية، العدد السادس، ربيع ٢٠٠٢، ص ١٠٤.

٣٥. أحمد تهامى عبد الحى، التوجهات السياسية للأجيال الجديدة، مجلة الديمقراطية، العدد السادس، ربيع ٢٠٠٢، ص ١٢٠.

٣٦. التقرير النهائى للجنة التعليم والبحث العلمى والشباب حول: خطة قومية لاعداد الشباب لدخول الألفية الثالثة، مجلس الشورى، ديسمبر ٢٠٠٠، ص ص ٣٦-٣٧.

٣٧. د. عبد السلام نوير، م.س.ذ.، ص ٢٨٨.

٣٨. إصدار المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية حول الندوة التى نظمها المركز بالتعاون مع وزارة الشباب فى إطار "برنامج الثقافة الشبابية" حول موضوع: "رؤية الشباب للتطرف والارهاب" بمركز شباب المنشية الجديدة – شبرا الخيمة، يوم الأحد الموافق ٣١ يوليو ٢٠٠٥، وشارك فيها ما يزيد عن ١٢٠ شاباً وفتاة.